التوثيق التاريخي المبكر للإرادة الإلهية الموجهة لنهضة الامام الحسين (عليه السلام)

م.م عواد حامد علوان الخفاجي

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

awad.h@s.uokerbala.edu.iq

التوثيق التاريخي المبكر للإرادة الإلهية الموجهة لنهضة الامام الحسين (عليه السلام)

م.م عواد حامد علوان الخفاجي

مركز كربلاء للدراسات والبحوث

الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

awad.h@s.uokerbala.edu.iq

المستخلص

نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) هي نموذج عملي للتوجيه الإلهي في التاريخ الإسلامي، حيث تتقاطع العقيدة، التاريخ، والسياسة، لتبرز الحقيقة الخالدة أن الحق والعدل هما مبدأ الرسالة الإلهية، وأن الشهادة في سبيل الله هي أعلى درجات الطاعة والوفاء للتكليف، وان أعظم الجهاد هو كلمة الحق عند السلطان الجائر، تجلت كل هذه الأمور بالنهضة الحسينية المباركة، وأبقتها خالدة الى يوم يبعثون.

الكلمات المفتاحية: التوثيق التاريخي، الإرادة الإلهية، نهضة الامام الحسين (عليه السلام) .

Early Historical Documentation of the Divine Will Guiding the Uprising of Imam Hussain (Peace Be Upon Him)

M.M. Awad Hamed Alwan Al-Khafaji

Karbala Center for Studies and Research

The General Secretariat of Imam Hussain Holy Shrine

awad.h@s.uokerbala.edu.iq

Abstract

The uprising of Imam Hussain (peace be upon him) serves as a practical model of divine guidance in Islamic history, where creed, history, and politics intersect to highlight the eternal truth that justice and righteousness are the core principles of the divine message. Martyrdom in the path of God represents the highest level of obedience and fulfillment of divine duty, and the greatest form of struggle is speaking the truth before a tyrannical ruler. All these principles were manifested in the blessed Hussaini uprising and have remained immortal until the Day of Resurrection.

Keywords: Historical Documentation, Divine Will, Uprising of Imam Hussain (peace be upon him)

المقدمة

تُعدّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) واحدةً من أعظم الحركات الإصلاحية في التاريخ الإسلامي، وقد نالت اهتمامًا واسعًا في الدراسات التاريخية والعقدية والأدبية، وجعلت من المبادئ والقيم الدينية ثابتة لا تتأثر بعاملي الزمان والمكان؛ نظرًا لما تمثله من نموذج فريد للثبات على المبادئ في مواجهة الظلم والانحراف السياسي، مما جعلها ذات شمولية وبقاء، ورغم كثرة الأبحاث التي تناولت الواقعة من زوايا سياسية أو اجتماعية أو عسكرية، إلا أن البعد الإلهي في النهضة ظلّ من الجوانب التي لم تُبحث بعمق كافٍ في الدراسات الأكاديمية الحديثة، مع أنه يمثل الركيزة الأساس لفهم دوافع الإمام الحسين (عليه السلام) وخياراته المصيرية.

ويُقصد بالتوجيه الإلهي هنا: جملة العوامل المرتبطة بعصمة الائمة (عليهم السلام)، والتكليف الشرعي للإمام المعصوم، والعلم اللدني، وما يندرج تحت ذلك من الإلهام الرباني، وإخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمستقبل، وما صدر من الإمام من أقوال تؤكد ارتباط نهضته بمشيئة الله جل وعلا، ومن هذا المنظور يظهر أن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن ثورة سياسية بالمعنى التقليدي، بل كانت مهمةً إلهية تتكامل فيها المعرفة بالغيب، والتكليف الشرعي، والرسالة الإصلاحية الكبرى التي هدفت إلى إعادة إحياء الدين.

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة تحليلية متعمقة للتوجيه الإلهي لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، من خلال استقراء النصوص القرآنية والحديثية، واستعراض رؤية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) للإمامة، وتحليل مواقف الإمام الحسين (عليه السلام) في ضوء التكليف الإلهي، كما يسعى البحث إلى بيان كيف مثّل التوجيه الإلهي عنصرًا محوريًا في صنع النهضة، وكيف انعكس هذا العنصر على نتائجها التاريخية والفكرية.

تناولت عدة دراسات النهضة الحسينية، لكنها ركزت غالباً على الجانب السياسي أو التاريخي أو البلاغي، أما الدراسات التي بحثت البعد الإلهي فهي قليلة جدًا، وغالبًا لم تتجاوز المعالجة التقليدية. ويسعى هذا البحث إلى سدّ هذا الفراغ من خلال تقديم معالجة متكاملة تجمع بين التوجه الالهي والتاريخ والتحليل.

المبحث الاول

المفاهيم النظرية للإرادة (التوجيه) الإلهي

مفهوم التوجيه الإلهي في القرآن الكريم

يتبوأ مفهوم التوجيه الإلهي موقعًا مركزيًا في العقيدة الإسلامية، إذ يرتبط مباشرةً بالإيمان بحكمة الله تعالى وتدبيره لشؤون الخلق، ويُفهم التوجيه الإلهي في السياق القرآني باعتباره الهداية الربانية التي تنقسم إلى عدة مستويات:

١. الهداية التشريعية: وهي التي يوجّه بها الله البشر من خلال الكتب السماوية والأنبياء.

٢. الهداية الخاصة: وهي التوفيق والإلهام الذي يخصّ به الله عباده المؤمنين.

٣. الهداية التكوينية: وهي تدبير الله للمخلوقات وفقًا لإرادته.

٤.ويُشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (سورة الليل، آية ١٢) وقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ (سورة الاسراء، آية ٩٧)

٥.من خلال هذا السياق يُفهَم أن الهداية الإلهية ليست مجرد أمر معنوي، بل هي تدخل إلهي حقيقي في توجيه الأحداث عبر اختيار الأنبياء والأوصياء وتكليفهم بمهمات خاصة، وعليه، يصبح التوجيه الإلهي عنصرًا أساسيًا في تحليل سيرة الأئمة المعصومين، بما فيهم الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث تكون قراراتهم خاضعة لتكليف رباني.

التوجيه الإلهي في السنة النبوية

تأتي السنة النبوية لتؤكد وتوضح المفهوم القرآني للتوجيه الإلهي، اذ يصرّح النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّ الأنبياء والأوصياء يتحركون بتكليف إلهي لا يخضع لرغباتهم الشخصية، ويتجلى هذا المفهوم في عدة نصوص، منها:

١.قوله (صلى الله عليه واله وسلم): «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد» (ابن حنبل، الزهد، ١٤٢٠ هـ: ٦)، وهو يعكس خضوعه التام لله.

٢.وقوله: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» (الهروي، منازل السائرين، ج١، د.ت:٢٥٥؛ الطبرسي، مختصر مجمع البيان، ج٣، ١٤١٥ه:٤٥٦؛ الرازي، تفسير الرازي، ج٦، ١٤٢٠ هـ:٦٠٦) الذي يؤكد أن تصرفات النبي نابعة من تعليم إلهي مباشر.

٣.كما وردت روايات عديدة يخبر فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مستقبل أهل بيته (عليهم السلام)، ومنها إخباراته المتكررة باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، ومنها قوله «قتل الحسين محزونًا عليه السماء والأرض» (المجلسي، بحار الانوار، ج٤٥،،١٤٠٣ه:١٢٢).

اظهرت هذه النصوص أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ينقل تعليماً ربانياً حول موقع أهل البيت (عليهم السلام) في مسار الهداية، وبذلك يصبح التوجيه الإلهي لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) امتدادًا طبيعيًا لهذا المسار.

رؤية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) للعصمة والعلم اللدني

تقوم العقيدة الشيعية على أن الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) معصومون من الخطأ والزلل، وأنهم مكلّفون بإرشاد الأمة وفقًا لهداية خاصة من الله تعالى انطلاقاً من قوله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (سورة الأنبياء، آية ٧٣)، واستعمل لفظ الامام في القرآن الكريم في معنيين: إمام هدى، وإمام الضلال، واما ما استعمل في أئمة الهدى والمتقين، اشتملت على اهل البيت (عليهم السلام) والامثال الواردة بهم كثيرة، اما الائمة الذين يدعون الى النار كقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ (سورة التوبة، آية ١٢)، والتي تمثلت بآل امية وملكهم العضوض وما شاكلهم، وتشمل العصمة (هي التنزه عن الذنوب

والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلا على النبي أن يصدر منه ذلك بل يجب أن يكون منزها حتى عما ينافي المروة، كالتبذل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام. المظفر، عقائد الامامية، د.ت: ٥٤).

في مفهومها الكلامي - عناصر ثلاثة:

١. العصمة من الذنوب: بحيث لا يصدر منهم أي عمل يناقض الشريعة.

٢. العصمة من الخطأ في تبليغ الدين: التزامًا بدورهم كمرشدين للأمة.

٣. العصمة من السهو والنسيان: نظرًا لارتباطهم بالعلم اللدني.

أما العلم اللدني فهو نوع من العلم الإلهامي يمنحه الله للأئمة، كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):»إن علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع» (المفيد، الارشاد، ١٤١٤ه:٢٧٤؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ١٣٨٦ه:٣٧٢).

وتأتي أهمية هذه المفاهيم ضمن سياق بحثنا كونها توضح أن قرار الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن قرارًا بشرياً محضاً، بل كان مبنياً على علم بمشيئة الله، وتكليف إلهي مرتبط بواجباته كإمام معصوم.

الإمامة بوصفها منصبًا إلهيًا

تؤكد المصادر التاريخية والشيعية أن الإمامة ليست منصباً سياسياً، بل هي منصب رباني منصوص عليه من الله على لسان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) (الكليني، الكافي، ج١، ١٤٢٨ه:٤٢٠؛ الصدوق، الامالي، ١٤١٧ه :١٨٤؛ الخصال، د.ت:٣٨١).

فهي امتداد بين اهل البيت الاثني عشر (عليهم السلام)، كلّ يدفعها للآخر، اما الإمام الحسين (عليه السلام) إمام معصوم مكلّف من الله تعالى، وهذا ما يؤسس لارتباط قراراته بالهداية الربانية، والتوجيه الالهي وليس بالحسابات السياسية الدنيوية، انطلاقاً من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الحسن والحسين امامان قاما او قعدا» (الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ج٢، : ٦١٥؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٣،:١٦٣) وقول الامام الحسن بن علي (عليهما السلام) لأخيه محمد بن الحنفية «يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسدي إمام بعدي وعند الله في الكتاب الماضي وراثة النبي (صلى الله عليه واله) أصابها في وراثة أبيه وأمه علم الله أنكم خير خلقه فاصطفى منكم محمدا واختار محمد عليا واختارني علي للإمامة واخترت أنا الحسين». (الدينوري، الاخبار الطوال، ج١، ١٤٣٠ه:١٢٢؛ القرشي، حياة الامام الحسين (ع)، ج٢، ١٤١٢ه:٤٨٧-٤٨٨؛ المجمع العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، ج٤، ١٤٢٢ه:١٨٨)

ومن هذا المنطلق فان النظر إلى الإمامة بوصفها منصبًا إلهيًا يعني أن كل إمام يتحرك وفق تكليف خاص، وأن مهمته ترتبط بمصلحة الدين لا بمصلحة

دنيوية، وهذا ينعكس مباشرة على فهم نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ إن واجبه كإمام لم يكن القتال من أجل السلطة، بل إقامة الحجة على الأمة وحفظ الدين من التحريف، واحياء امة جده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله (عليه السلام): « إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمّة جدي محمد صلّى اللهّ عليه وآله» (الاندلسي، العقد الفريد، ج٣، ١٤٠٤ه:١٧٨؛ الخوارزمي، مقتل الحسين (ع)، ج١، ١٤٣٠ه:٢٧٦؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج٥، ١٤٢٣ه:٣٠٧).

المبحث الثاني

التوجيه الإلهي في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)

شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) في النصوص الدينية:

يعدّ الإمام الحسين (عليه السلام) من الشخصيات اللامعة والمحورية في التاريخ الإسلامي، وقد وردت بشأنه نصوص كثيرة في المصادر الحديثية وغيرها، سواء عند الشيعة أو عند أهل السنة، وتمثل هذه النصوص حجر الأساس لفهم موقعه في الهداية الإلهية.

ومن أبرز هذه النصوص قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)"حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينًا" (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ١٤١٠ه:٣٨٥؛ ابن ابي شيبة، المصنف، ج٧، ١٤٠٩ه:٥١٥؛ البخاري، التاريخ الكبير، ج٨، د.ت:٤٥١)، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» (ابن حنبل، المسند، ج٥، ١٤٢١ه:٣٩١؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج١، د.ت:٤٤؛ البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ١٤١٧ه:٧؛ الصدوق، الامالي، ١٤١٧ه:١٨٧؛ الاصبهاني، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ج٤، ١٣٩٤ه:١٣٩)، والكثير من النصوص الاخرى.

ويمكن ان يستشف عن ذلك كشف هذه النصوص عن علاقة خاصة بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والامام الحسين (عليه السلام)، لا تتعلق بالقرابة الدموية فحسب، بل بالدور الرسالي الذي يؤديه الامام في مسار استمرار الرسالة بعد النبي، كما تبرز النصوص أن محبة الحسين (عليه السلام) ليست عاطفة، بل جزء من الدين، لما ورد من فضل ذلك، وهذا يعزز البعد الإلهي في دوره (عليه السلام).

علم الإمام الحسين (عليه السلام) بالشهادة

تُجمع المصادر الشيعية على أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان على علم مسبق بعاقبة خروجه من المدينة، وأنه سيُقتل في كربلاء، وقد اكدت عدة شواهد ذلك، منها:

أولاً: إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باستشهاده

اشارت الكثير من المصادر التاريخية عن مقتل الامام الحسين (عليه السلام)، وجاء الاخبار بذلك

على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنذ وقت مبكر، اذ ورد في مصادر الفريقين أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بكى حين أخبره جبرائيل بمقتل الامام الحسين (عليه السلام): «إن جبرائيل أتاني فأخبرني أن ابني هذا يُقتل بأرض يقال لها كربلاء» (ابن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، ١٤١٧ه:١٣).

ورواية أُمّ سلمة: «كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي في بيتي فنزل جبرئيل فقال: يا محمد إنّ أُمّتك تقتل ابنك هذا من بعدك وأشار إلى الحسين؛ فبكى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وضمّه إلى صدره وكان بيده تربة فجعل يشمّها وهو يقول: ويح كرب وبلاء، ...») الهيثمي، مجمع الزوائد، ١٤١٤ه:١٩٢؛ القرشي، حياة الامام الحسين (ع)، ج١، ١٣٩٤ه:١٠١).

ثانيًا: معرفته بالمكان والزمان

تروي المصادر أن الإمام الحسين (عليه السلام) توقف في أماكن متعددة خلال رحلته، وكان يشير إلى أن قدره ينتظره في كربلاء، فقال :»هاهنا والله مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، وسفك دمائنا» (البحراني، مدينة المعاجز، ج٣، ١٤١٣ه:٥٠٣؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ١٤٠٣ه:١٨٨؛ الدربندي، اسرار الشهادة، ١٤١٥ه:٢٤٤)، وقوله (عليه السلام): « فان مصارع أصحابي هناك» (الطبري، نوادر المعجزات، ج١،:١٠٧) وما جاء على لسان ابن عباس اذ قال: «ما كنا نشك وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف» (الحاكم، المستدرك، ج٣، د.ت :١٧٩؛ الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ١٤٣٠ه:٢٣٤).

ثالثًا: خطابه لأهل بيته وأصحابه

كان الإمام يخبرهم بأنه ماضٍ إلى الشهادة، وأنه يتحرك وفق إرادة الله تعالى، وهذا يدل على أن العلم بالغيب لم يكن معرفة سلبية، بل جزءًا من تكليفه الإلهي.

«إن أصحاب الحسين لم ينقصوا رجلاً ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم. وقال محمد بن الحنفية: إن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم» (ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٢، ١٣٧٦ه:٢١١). وأن علمه (عليه السلام) بالشهادة ساعده على إعداد أصحابه وأهل بيته نفسيًا وروحيًا، لهذه المرحلة الحرجة وارتقائهم لمستوى يمكنهم من نيل الشهادة، لتحقيق نهضة وصوت وصرخة حق بوجه الحكم العضوض، ويحفظ الدين الحنيف.

تكليف الإمام الحسين (عليه السلام) في المرحلة الأموية

استشهد الإمام الحسن (عليه السلام)، وانتقلت بعده الإمامة إلى الإمام الحسين (عليهم السلام) وفقًا للنصوص الواردة عن النبي والأئمة، وكانت المرحلة التي عاشها الحسين (عليه السلام) معقدة سياسيًا، إذ حاول معاوية أن يُظهر استقرارًا زائفًا، مع ممارسة الظلم الشديد وقتل الشيعة وارتكاب أبشع الجرائم بحقهم « كَانَ عِظَمُ ذَلِكَ وَكَثْرَتُهُ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ مَوْتِ الْحَسَنِ (عليه السلام) فَقُتِلَتِ الشِّيعَةُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ

وَقُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ وَصُلِبُوا عَلَى التُّهَمَةِ وَالظِّنَّةِ مِنْ ذِكْرِ حُبِّنَا، ...»(الهلالي، كتاب سليم بن قيس، ٦٣٣:).

ومع هلاك معاوية وتوليته ابنه يزيد، ساء الوضع أكثر وأكثر، فقد كان يزيد شخصًا لا يمتلك أي صفات تؤهله للخلافة، بل وردت روايات وشهادات تاريخية واضحة على سوء سيرته، شارب للخمر، ملاعب للقردة والكثير من هذا الشأن، لذا فإن رفض الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن مجرد موقف سياسي، بل كان استجابة لتكليف ديني لمنع شرعنة الانحراف الأخلاقي والعقائدي.

كان الحسين (عليه السلام) يرى أن بيعته ليزيد سوف تعد اعترافًا بشرعية الظلم، وأن الأمة ستفقد آخر خطوط الدفاع عن الدين الصحيح، اذ تعدّ حادثة رفض بيعة يزيد الخمار قاتل النفس المحرمة، المجاهر بالفسق، من أهم المحطات التي تكشف عن البعد الإلهي في شخصية الإمام الحسين (عليه السلام). فقد جاءه والي المدينة ليطلب منه البيعة، فقال الإمام: «مثلي لا يبايع مثله» (الكوفي، الفتوح، ج٥، ١٤١١ه:١٤؛ ابن نما الحلي، مثير الاحزان، ١٣٦٩ه:١٤، المقرم، مقتل الحسين، ١٤٢٩ه:١١٤).

اختصرت هذه العبارة القصيرة فلسفة القيادة الإلهية؛ فالإمام الحسين (عليه السلام) لا يفكّر بمنطق المكاسب والمخاطر السياسية، بل بمنطق الحق والباطل، ولا يمكن للإمام أن يضع يده في يد شخص لا يمثل قيم الإسلام، لأن ذلك يتناقض مع موقعه كحجة الله.

اختار الامام الحسين (عليه السلام) طريق الشهادة لما لها من قيمة عظيمة في الفكر الإسلامي، والإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن الشهيد العادي الذي يواجه الظلم فحسب؛ بل كانت شهادته طريق إلهي مرسوم بقوله: «بسر سر لي وعلم أعطيته «(الطبري، دلائل الامامة، د.ت:٧٤؛ البحراني، مدينة المعاجز، ١٤١٣ه:٢٣٨)، وقوله (عليه السلام): «شاء الله أن يراني شهيدا وشاء الله أن يراهن سبايا» (الخوارزمي، مقتل الحسين، ج١، ١٤٣٠ه:٢٣٥) . وهو تصريح مباشر بأن الشهادة ليست نتيجة معركة، بل جزءًا من مشيئة وترتيب رباني.

ثانيًا: وسيلة لإحياء الدين

كانت الأمة تمرّ بحالة ركود خطير تحت حكم بني أمية، وشهادة الحسين كانت بمثابة صدمة هائلة أعادت الوعي للأمة وأظهرت حقيقة الظلم الأموي، وإقامة الحجة على الناس لنصرة الامام الحسين (عليه السلام) وإحياء الدين الإسلامي الأصيل بعد ان زيف من ازلام السلطة الاموية الغاشمة، اذ ورد عن ابن عباس قائلاً: « رأيت الحسين قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبة وكف جبرئيل في كفه، وجبرئيل ينادي: هلموا إلى بيعة الله، ...»(ابن شهر آشوب، مناقب آل ابي طالب، ج٤، ١٣٧٦ه:٥٥؛ المازندراني، معالي السبطين، ج١، ١٣٦٣ه: ٢٧٥). وهذا ما أكده (عليه

السلام) من قوله لابن عمر: «اتق الله أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصري»(الكوفي، الفتوح، ج٥، ١٤١١ه:٢٦؛ الحلواني، نزهة الناظر، ١٤٠٨ه:٨٧؛ ابن نما الحلي، مثير الاحزان، د.ت:٢٧).

خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة مرورًا بمكة ووصولًا إلى كربلاء كان كله ضمن مسار يهدف لإيصال رسالته لجميع طبقات الأمة، وعندما لم يستجب الناس، أصبحت شهادته أبلغ من كل خطاب، ونظرية الشهادة في النهضة الحسينية ليست استشهادًا دفاعيًا، بل حركة إلهية تهدف إلى إعادة تشكيل الوعي التاريخي والديني، وكانت الشهادة الخيار الذي يجمع بين التكليف الإلهي والمصلحة العليا للدين.

المبحث الثالث

البعد الإلهي في مسار النهضة الحسينية

خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة

مثّل خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة المنورة أولى الخطوات العملية في مسار النهضة، وقد شكّل هذا القرار نقطة تحول تاريخية لها أبعاد سياسية وعقدية وروحية، فقد جاءت مطالبة يزيد بالبيعة، وما رافقها من تهديد صريح بقول يزيد لوالي المدينة: «وابدأ بوجوه قريش، وليكن أوّل من تبدأ به الحسين بن علي... «(ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ١٤١٠ه:٤٤٢). لتضع الإمام أمام مفترق طرق: إمّا القبول بشرعية الظالم، أو مواجهة الانحراف بكل ما يحمله ذلك من مخاطر.

التوقف في مكة وأسباب عدم إعلان الثورة منها

وصل الإمام الحسين (عليه السلام) إلى مكة في يوم الجمعة الثالث من شهر شعبان سنة ٦٠ هـ، (الدينوري، الاخبار الطوال، ١٤٣٠ه:٣٢٩؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ١٤٢٤ه:٣٤١، المفيد، الارشاد، ج٢، ١٤١٤ه:٤٥). وأقام فيها، وكان وجوده هناك ذا حساسية كبيرة، لأن مكة كانت مركزًا دينيًا وسياسيًا، ووفود الحجاج اليها في موسم الحج، وان الامام الحسين (عليه السلام) كان سيد البيت العلوي وقد يتوهم البعض أن الإمام كان قادرًا على إعلان الثورة منها، لكن الإمام الحسين (عليه السلام) لم يفعل ذلك لعدة أسباب:

١. **حرمة مكة**: علّم الامام الحسين (عليه السلام) بالمخطط الاموي لاغتياله، حتى وان كان في الكعبة، وبخروجه هذا رفض ان تستحل به حرمة البيت الحرام «والله لان اقتل بمكان كذا وكذا أحب الي من ان يستحل بي هذه الحرمة»(البلاذري، انساب الاشراف، ج٤، ١٤١٧ه:١٤٧؛ الازرقي، اخبار مكة، ج٢، ١٤١١ه:١٢٣). وكان (عليه السلام) يعلم أن يزيد سيحاول اغتياله حتى لو انتهكت مكة.

٢. **المشيئة الإلهية**: كانت نهضة الامام الحسين (عليه السلام) تتطلب موقعًا مختلفًا عن مكة المكرمة؛ موقعًا يرسّخ البعد الرمزي للشهادة ويُخلّدها، وهذا لا يتحقق في مكة التي تمثّل رمز الأمان.

٣. **ضرورة لقاء القبائل والحجاج**: وجد الامام الحسين (عليه السلام) فرصة لإبلاغ رسالته للعالم الإسلامي، كون مدة وصوله كانت في موسم الحج، وقد خطب

خطبًا متعددة أوضح فيها خطورة حكم يزيد، كان التوقف في مكة المكرمة مرحلة تبليغية، لا مرحلة ثورية.

الطريق إلى كربلاء ودلالاته:

بدأت الرحلة الكبرى من مكة إلى العراق، وهي رحلة تحمل أبعادًا رمزية وإلهية متعددة، وكان كل توقف فيها يحمل معنى خاصًا اذ خرج (عليه السلام) يوم التروية «قبل توجه الامام الحسين الى العراق، طاف بالبيت الحرام وسعى بين الصفا والمروة، وأحل من أحرامه وجعلها عمرة..» (أبو مخنف، مقتل الحسين، د.ت:٦٦؛ الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ١٤٢٤ه:٢٥٩؛ المفيد، الارشاد، ج٢، ١٤٢٣ه:٦٧؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، د.ت:١٧٧؛ الطبرسي، اعلام الورى، ج١، ١٤١٥ه:٤٧٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٨، ١٤٠٨ه:٢٨٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٤٤، ١٤٠٣ه:٦٦).

ولعل خروجه (عليه السلام) في هذا اليوم، وقطعه للحج ذات دلالة واضحة على ان المخطط الاموي كان يروم اغتياله اثناء تأديته لمناسك الحج بدسهم الرجال لاغتياله أثناء الطواف (ابن نما الحلي، مثير الاحزان، ١٣٩٦ه:٣٣). ولو قدر لها النجاح لكانت دولة بني أمية تخلصت من هذا الخطر، وطبعهم نسبته إلى مجهول، أو بسبب تزاحم الحجاج في مكة المكرمة، فيضيع دم الامام (عليه السلام) ويسلموا، فصار امر الخروج لابد منه بقول الامام (عليه السلام) للشاعر الفرزدق بعد ان قال له: ما أعجلك يأبن رسول الله عن الحج قال: « لو لم أعجل لأخذت» (الطبري، تاريخ الطبري، ج٥، ١٤٢٤ه:٢٦٠؛ الأمين، لواعج الاشجان، د.ت:٧٨). ومغادرته في يوم التروية حمل دلالة أخرى الا وهو مرمى إعلامي غاية في البراعة، وافتقرت تلك الحقبة من الزمن لمثل هذه الوسائل، أدى ذلك إلى إشاعة خبر رفض الامام الحسين (عليه السلام) لبيعة يزيد بين الحجاج.

التوجيه الإلهي كان في كل تفاصيل النهضة

حضرت الإرادة الإلهية في كل جزئية من جزئيات النهضة المباركة من الخروج من المدينة، إلى التوقف في مكة، إلى اختيار الطريق، إلى المواجهة، إلى الأسر، كلها ضمن سياق واحد، وكانت المشيئة الإلهية أن تتحول كربلاء من معركة عسكرية إلى ثورة حياة، وذلك عبر الدور الرسالي الذي قامت به عقيلة بني هاشم السيدة زينب (عليها السلام) في إتمام النهضة، وكل شيء كان مسجّل ومعروف بمسيرة اهل البيت (عليهم السلام) اذ ورد عن سليم بن قيس نقلاً عن ابن عباس قائلاً: لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذِي قَارٍ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ صَحِيفَةً وَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، هَذِهِ صَحِيفَةٌ أَمْلَاهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطِّي بيده [بِيَدِي]. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْرَأْهَا عَلَيَّ فَقَرَأَهَا، فَإِذَا فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ كَانَ مُنْذُ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَيْفَ يُقْتَلُ وَمَنْ يَقْتُلُهُ وَمَنْ يَنْصُرُهُ وَمَنْ يُسْتَشْهَدُ مَعَهُ، ...»(الهلالي، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ١٣٧٨هـ:٩١٥).

الخاتمة

١. اوضح البحث أن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) كانت استجابة لتكليف إلهي وليس مجرد حركة سياسية أو عاطفية.

٢. كشف البحث عن أن علم الإمام بالحقيقة ومستقبله وشهادته يمثل جزءًا من التوجيه الإلهي، وليس مجرد معرفة بشرية.

٣. تبين أن اختيار كربلاء ومراحل الرحلة من المدينة إلى الشام كلها تعكس حكمة إلهية في توزيع الأحداث لضمان بقاء الرسالة.

٤. أظهر البحث أن النجاة العجيبة للإمام زين العابدين (عليه السلام) ودور السيدة زينب (عليه السلام) كان جزءًا من خطة إلهية لإكمال النهضة ونقل الرسالة للأجيال.

٥. أثبت البحث أن نتائج النهضة لم تقتصر على البعد التاريخي، بل امتدت لتؤثر على الفكر الإسلامي، والهوية الشيعية، والثورات اللاحقة، وحتى التوظيف الديني والاجتماعي في العصر الحديث.

المصادر والمراجع

١. الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٢. ابن اعثم الكوفي، أحمد بن نذير بن الحباب، (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، الفتوح، تح: علي شيري، ط١، دار الأضواء، بيروت،١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٣. الأزرقي، محمد بن عبد الله، (ت: نحو ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تح: رشدي الصالح ملحس، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٤. احمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٥. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، د.ت.

٦. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت: ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، انساب الاشراف، تح: سهيل زكار، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧. البحراني، هاشم بن سليمان بن اسماعيل الموسوي البحراني، (ت ١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م)، مدينة المعاجز، تح: عزة الله المولائي الهمداني، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٣هـ.

٨. الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر (من اعلام القرن الخامس الهجري)، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تح: مدرسة الإمام المهدي (ع)، ط١، مهر، قم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

٩. الخوارزمي، الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي، (ت: ٥٦٧هـ/ ١٠٧٢م)، مقتل الامام الحسين، ط٢، دار الحوراء، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٠.الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، تفسير الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

١١.ابن عبد ربه الاندلسي، شهاب الدين احمد بن محمد،(ت:٣٢٨هـ/ ٩٤٠م)، العقد الفريد، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٢.الفتال النيسابوري، الشيخ أبو علي، محمّد بن الحسن (ت ٥٠٨ هجريّة)، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، تح: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، د.ت.

١٣.القرشي، باقر شريف مهدي، حياة الامام الحسين (ع)، ط٣، مطبعة باقري، قم، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م

١٤.الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت: ٣٨٣هـ/ ٨٩٥م)، الاخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م.

١٥.ابن سعد، محمد بن سعد، (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦.ابن ابي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت:٢٣٥هـ/ ٨٥٠م)، المصنف، تح: سعيد اللحام، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٧.ابن شهر آشوب، محمد بن علي، (ت: ٥٨٨هـ/ ١٢٩٢م)، مناقب آل ابي طالب، تح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ط١، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .

١٨.الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، (ت:٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، الامالي، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

١٩.الطبرسي، ابو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، (من اعلام القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، مختصر مجمع البيان، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م.

٢٠.-الاحتجاج، تح: محمد باقر الخرسان، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢١.الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، (ت: ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م المجلسي، محمد باقر، (ت: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، بحار الانوار الجامعة لدور اخبار الائمة الاطهار، ط٣، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٢.المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، (ت: ٤١٣هـ/ ١٠٢٣م)، الارشاد، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث، ط٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٣.-الخصال، تصحيح، علي اكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران، د ت.

٢٤.النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الارب في فنون الادب، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

٢٥.الهروي، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)، منازل السائرين، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

٢٦.المجمع العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٧.ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، (ت:٢٧٣هـ/ ٨٦٨م)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي،ط١، دار أحياء الكتب العربية، د. م، د. ت .

٢٨.ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسين، (ت: ٦٦٤هـ/ ١٣٦٥م)، اللهوف في قتلى الطفوف، ط١، انوار الهدى، قم، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

٢٩.الدربندي، آغا بن عابد الشيرواني (ت: ١٢٨٥هـ)، اسرار الشهادات، تح: محمد جمعة بادي، عباس ملا عطية، ط١، شركة المصطفى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٠.الهلالي، سليم بن قيس ٢) قبل الهجرة – ٧٦ هجري (كتاب سليم بن قيس الهلالي، تح: محمد باقر الانصاري الزنجاني، ط١، مطبعة الهادي، قم، ١٣٧٨ه.

٣١.ابن نما الحلي، محمد بن جعفر بن هبة الله، (ت: ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م)، مثير الأحزان، د. تح، ط١، د. م، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م .

٣٢.المقرم، عبد الرزاق بن محمد بن عباس، مقتل الحسين (ع)، تح: محمد حسين المقرم، ط١، منشور الفجر، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

٣٣.الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٤.المازندراني، صلاح الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، معالي السبطين، قم، إيران، ١٣٦٣هـ/ ١٩٨٥م .

٣٥.ابو مخنف، لوط بن يحيى بن سعيد الازدي، (ت: ١٥٧هـ/ ٧٧٣م)، مقتل الحسين (ع)، تح: الحسن الغفاري، المطبعة العلمية، قم، د.ت.

٣٦.ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٣٧.المظفر، محمد رضا (ت: ١٣٨١هـ)، عقائد الامامية، تقيم: حامد حفني داود، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، د.ت